الجواهري الأب شاعراً

المدرس الدكتور
وسام علي الخالدي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الجواهري الأب شاعراً

المدرس الدكتور
وسام علي الخالدي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

المقدمة

ولما كانت جذور وبواكير الأدب العراقي الحديث ولاسيما الشعر كانت بعيدة عن انظار الباحثين ولا تزال فإن اتخاذ الشيخ عبد الحسين الجواهري موضوعا للدراسة يتسم بأهمية كما أرى وهذا ما دعاني إلى استقصاء المصادر المتوافرة للوقوف على مكانة هذه الشخصية ودورها الأدبي ونتاجه الشعري.

ومن الصعوبات التي واجهتني ان الدراسات تكاد تكون معدومة عن الشيخ عبد الحسين فقد أخذ الجواهري الابن المساحة الاكبر واختطف الاضواء من ابيه ومع ذلك فإن الشيخ عبد الحسين الجواهري (الأب) له نتاج شعري يتسمى باسمه وموسوم بميسمه ذلك الميسم الذي كان نتاج البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية معروفة الملامح . فهو من شعراء القرن التاسع عشر وله ديوان شعر مخطوط لم أعثر عليه . بيد أن الدراسات التي اعتمدت عليها كانت نزرة ولم تتعدَ الترجمة لحياته والاستشهاد بنماذج من شعره الذي درسته ضمن خطة تقوم على مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور تناولت في التمهيد عصر عبد الحسين الجواهري وملامح نشأته الأولى ضمن الاسرة الجواهرية، أما المحور الأول فكان ضمن عنوان (عبد الحسين الجواهري (الإنسان)، وتضمن المحور الثاني : عبد الحسين الجواهري (الشاعر)، وفي المحور الثالث وقفت عند أغراضه الشعرية وتناولها. فكان الرثاء مقتصرا على الامام الحسين (ع) في قصيدتين همزية وبائية أما المديح فقد مدح الوالي العثماني وبعض معارفه ثم درست غزله وكان غزلا تقليديا لم يعبر عن تجربة لدى الشاعر بل نسج على منوال الشعراء القدماء في تشبيهاته واستعاراته، ثم انعطفت إلى الفنون الشعرية المستحدثة لديه فكانت المسمطات والبند والمراسلات الشعرية .. ثم ختمت الدراسة بخلاصة للنتائج التي توصلت إليها ثم الحقتها بفهرسة للمصادر والمراجع.

هذا وقد اخذ هذا القلم على عاتقه أن يقف عن شاعر أخر من أبناء الاسرة الجواهري ليكتمل العقد الشعري للشعراء الجواهري الابن والاب والاخ وهو الشاعر عبد العزيز الجواهري في دراسة لاحقة بإذن الله.

عصر الشاعر

من المعروف إن أسرة آل الجواهري هي ((من مشاهير الأسر العلمية النجفية، ودوحة من دوحات الفضل، بزغ بدرها في أفق النجف واشتهرت بعنوانها (الجواهر)، الذي صار علما لها وميسما اتسمت به في اواسط القرن الثالث عشر))(١)، ولعل السبب في تسمية الاسرة بالجواهرية هو أن الجد الاعلى الشيخ محمّد حسن كان مرجعا دينيا كبيرا،

ألف دائرة معارف فقهية واسعة، فسماها هو أو الناس (جواهر الكلام)(٢)، وهذا هو ((الكتاب الوحيد في البسط وسعة الاستدلال ونقل الحجج والاقوال ومذاهب الفقهاء في تمام الفقه وقد صار في الايام الأخيرة عليه مدار البحث والتحصيل في كل محافل التدريس في الفقه المنوط بالنظر والاستدلال))(٣)، فكان من أهم ((المصادر الدينية الكبرى عند الشيعة الشيعة الامامية))(٤)، وقد شع ((ضوء هذه الاسرة وطار صيتها من حين نبوغ جدها الاعلى الشيخ صاحب الجواهر تقمص ايراد الفضل والعلوم الروحية، وتوارثها منه ابناؤه الغر الاماثل فتكونت على تعاقب الاعوام والسنين، منه اسرة علمية شهيرة نبغ فيها علماء مشاهير، وادباء وشعراء، فطاحل وضم بعضهم إلى فضله الغزير أدبه الوافر كما حاز رجال منها الزعامة العلمية والبلدية))(٥). ومن مشاهير الاسرة الجواهرية الذين اشتهروا بالشعر والأدب وهم:

1- الشيخ حسن بن الشيخ محمّد بن الشيخ حسين بن الشيخ حميد بن الشيخ صاحب الجواهر كان يجيد الكتابة ويحسن صوغ الشعر فله قصائد رصينة القافية حسنة التركيب ينظمها عند مسيس الحاجة(٦).
2- الشيخ حسين بن الشيخ صاحب الجواهر كان فاضلا كاملا وشاعرا مجيدا شب في صباه على حب الشعر والادب وله شعر رائق في فنونه من غزله ونسبه وجده ومجونه(٧).
3- الشيخ محسن بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ صاحب الجواهر له شعر كثير ((جمع فيه بين الرقة والمكانة وتجنب الوحشي فن اللفظ والغوص على المعاني النادرة وكان سريع البديهة))(٨).
4- الشيخ محمّد تقي بن الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف ينظم الشعر ويحسن صوغه(٩).
5- الشيخ محمّد حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ صاحب الجواهر له شعر كثير في مواضع مختلفة(١٠).
6- الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد عليّ بن الشيخ صاحب الجواهر ـ موضوع بحثنا ـ ((ان عد العلماء كان من أجلهم فقها واصولا، وان ذكر الشعراء والكتاب كان من ارضهم نظما وامتنهم قافية وان نثر ازرى بالدراري))(١١).

وقد سار على خطاه اولاده : الشيخ عبد العزيز قلة شعر سلس اللفظ جزيل المعنى رصين التركيب(١٢)، ومحمد مهدي الجواهري (شاعر العرب الأكبر)، وعبد الهادي ((من شباب هذه الاسرة النابهين ومن شعرائها المجيدين))(١٣).

ومن المعروف أن العراق كان في القرن التاسع عشر تحت سلطة العثمانيين وقد كان اكثر العرب ينظرون إلى ((الخليفة العثماني على أنه ممثل لأمالهم الاسلامية ولم يكن العربي المسلم يأنف من الاعتراف بسيطرة السلطان، ولعل الخوف من سيطرة الاوربي الكافر ـ كذا ـ هو الذي جعل هذه الشعوب قوية الالفتات حول السلطان العثماني، فهي ترى الحاكم المسلم خيرا من حاكم لا يربطها به أية رابطة))(١٤).

وكان الشعراء جزء من الشعب، يعكسون رغباته ويمثلون امانيه فتراهم في شعرهم قد ((اتخذوا الخليفة العثماني رمزا للوحدة الاسلامية))(١٥)، فلا عجب أن نرى

بعض الشعراء يتخذون من السلطان العثماني ((عبد الحيمد)) رمزا قد يسيرون في ركابه، فاشادوا بالحروب التي اعلنها وتغنوا بالانتصارات التي حازها على اعدائه.

ولابد أن نذكر أن العراق في ظلهم كان بلدا متأخرا هيمن عليه الجهل وفقد الامن والنظام فضلا عن التردي في الجانب الصحي نتيجة لاهمال الدولة لشؤون البلد فقد غدا العراق مرتعا خصبا لمرض الطاعون الذي فتك بالناس دون رحمة، أما التعليم فلا نجد له ظلا إلا في المساجد وفي المدن الكبرى وبحدود ضيقة ولولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الأشرف لقضي على اللغة العربية))(١٦).

هذا التأخر والانحطاط دفع الشعراء إلى المطالبة بالتحرر والاصلاح ((متأثرين بالحركات التحررية التي عمت العالم ولم يكونوا في دعواتهم هذه خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين راغبين بالانفصال عن الجامعة العثمانية، وانما كانوا يريدون اصلاح الامور العامة تحت ظل الخليفة العثماني لأنه الرمز الاسلامي العثماني للوحدة الاسلامية))(١٧).

أما الأسلوب الذي سار عليه الأدب فهو نهج القرن التاسع عشر الذي تمثل في العناية باللغة عناية تخرجه إلى حد التزويق المموج الذي تمله النفس اضافة إلى ان المواضع التي طرقها الشعراء كانت مواضيع تمتاز بالمبالغات تخرجه إلى حد الاسفاف لاسيما المديح والرثاء(١٨).

ولعل كل هذه الاجواء كان لها انعكاس على حياة وشعر الشيخ عبد الحسين الجواهري.

المحور الأول

عبد الحسين الجواهري (الإنسان).

الجواهري الاب هو ((الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد عليّ بن الشيخ محمّد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام، عالم كبير، وشاعر شهير وأديب معروف، وهو والد شاعر العرب الاكبر محمّد مهدي الجواهري))[١٩]، من ابرز ((العلماء عمقا، وهو موسوم بجرأة نادرة، وسرعة خاطر، وقريحة عجيبة))[٢٠]، ولد في النجف الأشرف وقد اختلف الباحثون في تحديد سنة ولادته فالخاقاني* يرى أنه ولد عام 1281هـ[٢١]ومنهم من يرى ولد سنة 1282هـ[٢٢] وقبل سنة 1286هـ[٢٣].

والشيخ عبد الحسين هو ((حفيد ذلك الشيخ الجليل ونبع دوحته وهو معمم مخول فهذا جده لابيه والشيخ الكبير كاشف الغطا جده لامه كما أن بحر العلوم الطباطبائي جده لام ابيه))[٢٤]. وقد عرف بـ ((غزارة فضل وعلم، وكرم وحكم. وسجامة اخلاق، وطيب اعراف، وعزة نفس وعلو همة))[٢٥].

وقد نشأ عبد الحسين الجواهري في احضان ((ابيه فعني بتربيته وتوجيهه ودرس مبادئ العلوم على افاضل اسرته وادبائهم، واختلف بعد نضوجه العلمي على فريق من اصحاب الحلقات العلمية كالشيخ محمّد طه نجف والشيخ اغا رض الهمداني والشيخ ملا كاظم الخرساني نأخذ عليهم الاصول والفقه، وبرز بين اخدانه كانسان مثالي لطيف))[٢٦]، ويحدثنا الجواهري الابن عن ابيه بقوله: ((كان والدي شيخا بكل ما في هذه الكلمة من معنى

وعلى خلاف من ابيه ـ عبد العلي ـ درس على ايدي افاضل علماء عصره واخترق اعلى الحلقات في الاصول والفقه، حتى حقق مكانة مرموقة وليس هناك من أرخ النجف وبيوتها في هذا القرن العشرين من لم يأت على ذكره))[٢٧].

أرجح هذا التاريخ.

وكان الشيخ عبد الحسين إذا حضر المجالس العلمية استحوذ عليها ((ببلاغته وعذوبة لسانه ويتميز بصلابته البدوية، لأنه يضرب باقواله في عشائر زبيد وجده لامه شيخ مشايخها))[٢٨]. ويبدو أن للمنتديات الأدبية و((المجتمعات العلمية في النجف منطلق لشتى النواحي الثقافية وعنها تصدر المطارحات والسجالات الشعرية والأدبية، والبحوث والمناقشات العلمية))[٢٩].

ومن ناحية أخرى يحدثنا الجواهري في مذكراته أن والده كان يعاني من عقدة (فقد الزعامة) في العائلة الجواهرية كان يرى نفسه جديرا بهذه الزعامة لعلمه وثقافته ومكانته الاجتماعية ولكن غيره استطاع بتحقيقها بماله واملاكه وقدرته على التمايل)) [٣٠]، يقول الجواهري: ((لقد نشأت ووجدت أمامي عقدة تحكم البيت، هي إحساس والدي بالضيم الشديد من أن لا يكون الزعيم، بجدارة للأسرة الجواهرية))[٣١]، ويضيف الجواهري ((يبدو أنه لم يفهم الواقع المر الذي آلت إليه زعامات العوائل النجفية، بل وكل بيوتات العراق وما شابهها، فقد اصبح المال والاملاك المتوارثة والقدرة على التحايل وعلى إعطاء الابهات حقها من المظاهر، فضلا عما يمتاز به الواحد عن الاخر من الدهاء في ذلك، أساس الزعامات الأولى، وهذا ما لم يكن والدي قد خلق له، فالحقيقة أن الذين خلقوا لذلك كله هم القادرون على سبيل المثال ـ ان يتوارثوا عمن قبلهم من عنعنات وفخفخات لا يعلم احد كيف تلقي بحقيقة الدين وجوهره)) [٣٢]. ومن الجدير ذكره أن الشيخ عبد الحسين كان ((من المعروفين بالجرأة والروح الثورية)) [٣٣]. ومن ((طليعة الزعماء الذين انتدبوا من قبل السلطة العثمانية للمشاركة في الجهاد ضد الانكليز في الحرب العالمية الأولى عن طريق اثارة العشائر العراقية لفرط انقيادهم له)) [٣٤]، كما لعب دورا كبيرا في معركة (الكوت) التي ((تقع 170كم جنوبي بغداد بين الجيش البريطاني المحاصر والمتراجع عن بغداد، وبين القوات التركية التي استطاعت وقف تقدم القوات البريطانية المتجهة إلى بغداد، واجبارها على الانسحاب في حالة من الفوضى إلى مدينة الكوت والشخص فيها، والتي انتهت باستلام قائد القوات البريطانية (الجنرال طاوزند) في نيسان (1بريل -1916))[٣٥].

لقد رزق عبد الحسين من المواهب ما جعله ((مرموقا بين افراد اسرته فضلا عن باقي النجفيين، وامتاز بصفات وقابليات جعلته في مصاف الطبقة العالية من أبناء الروح، وكان إلى جنب علمه الجم وأدبه الغزير وفضله المعروف، فكها ظريفا لا تفوته النكتة ولا تغرب عن طبيعته الظرافة المستملحة، وربما يسرف أحيانا إذا انطلقت نفسه فيبدع في النكتة إلى حد يتجاوز حدود القسوة)) [٣٦]، ويضيف الخاقاني قائلا : كان ((يتمتع بجرأة ومغامرة مشفوعة بلياقة وحسن بيان، وله قصص كثير لا زال المعاصرون له يروونه بروح الاكبار والاعجاب، ولا زالت عناصر الحياة في قصصه باقية رغم تكرر روايتها ونقلها، وقصته معروفة مع (بني حسن) عندما مروا على مسجد سهيل وهم يحملون جثمان

وجيه من وجهائهم يدعى (حميد) فقد بلغت حد المغامرة والجرأة ولعل نجله الجواهري ورث منه هذه الروح والقابلية فراح يصور مجتمعه بلسان جرئ وفكر حر))[٣٧].

تزوج عبد الحسين من فاطمة بنت الشيخ شريف آل كاشف الغطاء و((رغم انها ربة بيت، إلا انها تعلمت القراءة وقليلا من الكتابة وشيئا من التذوق مجال الشعر والأدب))[٣٨]، وقد انجب منها: عبد العزيز وعبد الهادي، ومحمد مهدي الجواهري، وجعفر، وعلي (مات وهو صغير)، واخت وحيدة هي نبيهة[٣٩].

وكان عبد الحسين كما يبدو في مذكرات الجواهري ـ في تعامله مع ابنائه ـ ((مثال الاب التقليدي الذي يؤمن أنه موكل بخلق ابنه كما يريده هو، يحكمه بمنطقه هو، ويفرض عليه ما يراه هو في مصلحة الصغير، وإذا ما خرج هذا الطفل عن الخطة المرسومة فالعقاب كفيل برده إلى سواء السبيل))[٤٠]، يقول الجواهري :((كان والدي غضوبا حادا في طباعه، ولكن حدته معي تزداد باطراد حبسه لي ورهافته على نباهتي، فأنا الوحيد بين اخوتي المطالب بأن لا أقصر ابدا في التحضير والحفظ.. وإذا ما ارتكبت يوما ((جريمة)) كهذه فالويل لي من غضبه وعقابه .. ويكفيني خوفا ورعبا أن تمر عيناه غضبا))[٤١].

وافت عبد الحسين المنية بعد أن اتعبه الجهاد والجوع وطول الرحلة بعد عودته من معركة الكوت [٤٢]، وقد اختلف الباحثون في تحديد سنة وفاته فعبد الكريم الدجيلي يقول :((توفى عام 1917 وهو لم يتجاوز الخمسين من عمره . وفي ساعاته الأخيرة كان يردد بيت ابن الرومي على ما اخبرني الجواهري.

والناس يَلحَوْن الطبيب وإنما خطأ الطبيب إصابة المقدار

وكان خطأ الطبيب السبب الظاهر لوفاته))[٤٣]، اما الخاقاني فيقول : ((توفي بالنجف في مرض التيفوئيد عام 1335هـ ودفن بمقبرة الاسرة الخاصة الواقعة في محلة العمارة))[٤٤]، ويرى صاحب كتاب ماضي النجف أنه ((توفي ليلة السبت الرابعة من ذي الحجة الحرام سنة1335هـ))[٤٥]، وذكر اخرون وفاته كانت سنة1916[٤٦].

ويروي لنا الجواهري الابن في مذكراته تلك اللحظة المؤلمة ـ لحظة وفاة والده ـ بقوله : ((رأيت ابي ينزل من ادراج السلم المودي إلى الدهاليز الباردة (السراديب ورأيت القدر ينزل دراجات السلم نفسه، الواحدة بعد الأخرى .. ابني مهدي سأموت!!))[٤٧]، وبالفعل تحققت نبؤة الشيخ عبد الحسين (رحمه الله).

فرحل وأصبح في ذمة الخلود.

المحور الثاني

عبد الحسين الجواهري (الشاعر)

بدأ عبد الحسين الجواهري نظم الشعر في عنفوان شبابه فقد ((بدأ حياته ميالا إلى الشعر والأدب بل كتب الشعر أيضا، واشتهرت قصائده في البيئة النجفية))[٤٨]، ومما يذكر أن الشيخ عبد الحسين كان ((نيظم ايام شبيته في القصايد الغرر ما يطرب سمع الدهر ويعجب مشاعر الزمان))[٤٩]، فهو أديب ((حصيف الرأي، لطيف المعاشرة، قوي الذهن، حاد الفكرة، حلو اللفظ، معتدل السليقة، لهو شعر رقيق))[٥٠]. كان ((شاعرا موهوبا بليغا في

قوافيه، خلف مذكرات نادرة وهي عبارة عن ذكريات نفيسة تعتبر مرحلة نادرة عن مجالس الأدب والشعر))[٥١]، يقال ترك ((ديوان شعر مخطوط يحتوي على (1500) بيت مخطوط في مكتبة آل كاشف الغطاء))[٥٢].

ورغم هذه الموهبة الشعرية الفياضة لدى شاعرنا عبد الحسين الجواهري إلا أنه قد ((طلق خرائد الاشعار طلاقا باتا، وفارقها فراقا باتا ،وترك في نفس الايام حسرة ان تسمع له كلمة، أو تحس له بنغمة، ولا جرم فانه قد انقطع للافادة والاستفادة)) [٥٣]. فهجر الشعر اخيرا و((وانصرف بكليته إلى الفقه كا حدث للشاعر محمد سعيد الحبوبي)) [٥٤]، ورجح الدكتور سليمان جبران أهم الأسباب التي وقفت الشاعر عبد الحسين الجواهري إلى هجر الشعر والاتجاه إلى الفقه وعلوم الدين هو احساسه بعقدة فقد الزعامة الضائعة محاولا أن يواصل من خلال الفقه تراث جده ((صاحب الجواهر)) الذي بلغ بعلمه وكتابه في الفقه الزعامة والذيوع في النجف وخارجها[٥٥].

وقد حاول الشيخ عبد الحسين فيما بعد أن يثني ولده محمّد مهدي الجواهري عن طريق الشعر يقول الجواهري الابن: ((قرار الوالد لا يرد . فقد اختار لي طريقا لا يحيد عنه . هو أن يجعل مني، إلى جانب ذلك كله، فقيها نابها يعيد المجد الغابر لـ ((صاحب الجواهر)) [٥٦]، ويضيف الجواهري: ((وفي نهاية المطاف ادرك والدي استحالة ما اراد منعي عني، واريد ان اشير إلى أن هنا الوالد المتزمت بدلا من أن يصوغ ولده كما أراد، أخذ بتأثر به))[٥٧]، فضلا عن ذلك كله فقد كان الشيخ عبد الحسين الجواهري يتابع على لسان ابنه ((عبد العزيز في الصحف المتواردة عليه، أصداء ما يجد من تطورات العالم الحديث)) [٥٨]. وبدأ يشتري بنفسه لابنه ـ الجواهري ـ دواوين شعرية منها ديوان (الارجاني) وديوان (مهيار الديليمي).

ولعل عبد الحسين الجواهري بذلك اراد أن يكشف عن نفس شاعره وذوقه للشعر ما زالت تحن إليه، وما كان أحد يعلم من بين جبة هذا الشيخ وتحت رعايته تنمو موهبة شعرية ويولد عبقري يملأ الدنيا حداءً ونشيدا وقوافيا وهو الجواهري الابن.

المحور الرابع :

أغراضه الشعرية:

أ ـ الأغراض التقليدية:

ولعدم استطاعتي العثور على ديوانه المخطوط فقد اكتفيت بما أورده صاحب النجفيات الاستاذ عليّ الخاقاني [٥٩] من أشعار للشيخ عبد الحسين الجواهري الذي توزع شعره بين اغراض الشعر التقليدية فضلا عن بعض الفنون الشعرية المستحدثة كالبنود والمسمطات والموشحات والمراسلات الشعرية..الخ.

ومن أهم الاغراض التقليدية الشعرية لدى الشيخ عبد الحسين الجواهري غرض:

1- الرثاء: لم تتسع مساحة الرثاء لدى الشيخ عبد الحسين الجواهري لاكثر من قصيدتين قالهما في الامام الحسين (عليه السلام) الأولى همزية تربو على الـ (57) بيتا،

والثانية بائية ذات الـ (56) بيتا، وقد سار الشيخ عبد الحسين في رثائه للامام الحسين (ع) في تلك القصيدتين على نهج الشعراء القدماء فقد جعل مطلعيهما بكائيين ثم تناول مشاهد المعركة التي دارت بين الإمام الحسين (ع) وصحبه وجيوش بني امية، وقد أظهر الشيخ عبد الحسين الاسى على مقتل سبط الرسول وما تعرض له أهله من سبي وترويع واذى:

حق أن تسكبي الدموع دماءاً ... يا جفوني أو أن تسيلي بكاءا
صبي الدمع في زفير وأما ... أعوز الدمع صعدي الأحشاءا
كيف أسلوهم وقد بلغ الداء ... بقلبي أن ليس يسلو الدواءا
مزقتهم بها الحوادث حتى ... عاد أبناء أحمد أنباءا
أظهروا للحسن ما قد أسروا ... لأبيه الشحناء والبغضاءا
يا بنفسي منهم وجوهاً بود البد ... ر منها لو استمد السناءا
وجسوماً من دونها الشهب فيها ... فاخرت أرض كربلاء السماءا (٦٠)

ثم يختم القصيدة في إشارة إلى الامام الحسين (ع) مخاطبا له باداة النداء (أيها الموهب المقادير) يقول فيها:

أيها المرهب المقادير يا من ... بأسه صرف الردى كيف شاءا
والذي حارت العقول وضلت ... فيه إذ لم تجد لـه نظراءا
كيف يغضي على القذى منك جفن ... لم يعود على قذىً أغضاءا
أصبح الأمر لابن هند وأمست ... آل حرب عليكم أمراءا
حكم السيف ماضياً في رقاب ال ... علويين كيف شاء اجتراءا
فأباد الرجال واستأصل ال ... أطفال واستاق كالإماء النساءا (٦١)

أما البائية فانها سارت على منوال شقيقتها الهمزية بتسكاب الدموع وتقريح الجفون ولعل المطلع فيها قد جمع فيها بين الطلل القديم واستذكار ارض كربلاء بقوله:

تعرف بالرسم ربع الحبيب ... فروى ثراه بدمع سكوب
فمال بعبرة دامي الجفون ... إليه وزفرة مضنًي كئيب (62)

وقد انتقل الشيخ الشاعر عبد الحسين من مهاجمة بين امية ووصف اصحاب الحسين (ع) والثناء عليهم إلى مناداة الامام علي (ع) مظهرا الأسى لما أصاب ولده الامام الحسين (ع) في كربلاء مناجيا له بالقول:

أترضى نساؤك فيها العدى ... تلف حزون الفلا بالسهوب
ثواكل تحسب منها الحنين ... من النيب لكنها فوق نيب
ومن عجب وصروف الزمان ... تروح وتغدو لنا في عجيب
فلا شيء أشجى لقلب النبي ... وأعظم من كرب ذاك الركوب
وأعظم شيءٍ ترى شامتاً ... يزيد وتسمع شتم الخطيب
وبالرغم ينكث شلت يداه ... ثنايا ابن فاطمة بالقضيب (٦٣)

وبهذا فان عبد الحسين الجواهري لم يخرج عما الفناه من مضامين انطوت عليها القصيدة الحسينية في العهود والحقب السابقة[٦٤].

المديح :

والمديح لدى الشيخ عبد الحسين هو مديح تقليدي منه السياسي الذي وجه إلى السلطان ومنه الاجتماعي لشخصيات قريبة منه، ومن مدحه السياسي ذلك الموجه إلى السلطان عبد الحميد خان العثماني:

علاً لطريف مجدك والتليد ... فليس وراء مجدك من مزيد
وفخراً في علاك فقد تحلى ... بفيض ندام عاطل كل جيد
وشأنك فالملوك الصيد مدت ... لحر علاك أعتاق العبيد
ضربت على الزمان رواق عز ... وقمت به على أسنى عمود
مآثرك النجوم بها رجوم ... أتيح لكل شيطانٍ مريد
إمام تستظل الصيد فيه ... بظل رفاهة العيش الرغيد
أمير المؤمنين إليك آوى ... الرجا فينا إلى ركنٍ شديد [٦٥]

وقد اشتكى الشيخ إلى السلطان عبد الحميد خان العثماني سوء احواله ووجور الزمان عليه بالقول:

لقد سامتني الدنيا هواناً ... به عجم الزمان لحاه عودي
وقد رام المذلة لي وتأبى ال ... مذلة شيمة البطل النجيد
ورنق جائر الأيام صفوي ... وبدل بيض أيامي بسود
فدم للأمر معتصماً برشدٍ ... طوت نفحاته رشد الرشيد
بك الأيام تزهو مشرقات ... فتحسبها الورى أيام عيد
تزف إليك أبكار القوافي ... ويكسوها الثنا أسنى بورد [٦٦]

وباعدا تلك فان مدائحه خص بها السيد مهد آل بحر العلوم ومنها دالية مطلعها:

قد شأوت الأنام جنباً وجداً ... وعلاً شامخاً وباعاً أشدا
يا ابن من أينعت رياض المع ـالي ... بهم واكتست من الزهر بردا [٦٧]

حتما يصل الختام بلمسة يقول فيها:

فأنجز العهد واصدق الوعد وأكمل ... لامة البرد إنني مت بردا[٦٨]

وله في المديح رائية مهداة إلى خاله الشيخ عباس بن الشيخ على كاشف الغطاء بقوله:

غنىً عن الراح ما في ريقك الخصر وفي محياك عن شمس وعن قمر
وفي خدودك ما ماج الجمال بها للطرف أبهج روض يانع نضر
يا نبعة البان لم تجن نضارتها للعاشقين سوى الأشجان من ثمر
لي منك لفتة ريم من هلال دجى بغيهب من فروع الجعد مستتر (٦٩)

وعلى منوال تلك المقدمة الغزلية استهل الشيخ عبد الحسين مديحه للسيد مهدي بحر العلوم في عينية كان مطلعها

على لاعج الوجد مني الضلوع تطوي فتنشرهن الدموع
تكاد من الشوق نفسي تطير شعاعاً إذا عن برق لموع (٧٠)

ثم استرسل في مقدمة غزلية اخذت أكثر من نصف القصيدة حتى خلص إلى الممدوح مخاطبا اياه

أيا ابن الأغر الذي في علاه تلوذ الورى إن بدهياء ريعوا
وإن أردف المحل شهب السنين وجفت من العاديات الضروع
فأنملـه العشر تنسي الحيا نوالاً به للعفاة الربيع
فإن عم جدب فغيث مربع وإن جل خطب فليث مريع (٧١)

وبهذا نجد الشيخ عبد الحسين يعيد ما تقدمت به القصيدة العربية القديمة من مفردات وصور وما دعت إليه من قيم ومثل سائدة في ارض العرب والمسلمين ((فشعر ذلك العصر في العراق وفي النجف خاصة يسير على هدى قادة شعراء العصر العباسي، ويقفون أثرهم مقلدين لكل الوانه مدحا وهجاء ووصفا وتشبيها وغزلا ونسيبا، لا يتعدون تلك السبل المعيدة لهم. فالقصائد المتعددة للشاعر منهم هي قصيدة واحدة في معانيها وخيلتها، والاختلاف يكون في الوزن والقافية . أما المعاني فمكررة متجانسة كأن الزمن لم يتغير، والمفاهيم لم تتبدل))(٧٢)

الغزل :

وللشيخ الشاعر عبد الحسين الجواهري ميمية غزلية تربو على الـ (40) بيتا كان مطلعها:

بك برء أسقامي وأنت سقامي يا مخجل الأقمار والآرام
يا سالبي طيب المنام كفاك ما أسهرتني فاردد علي منامي
حتام أنثر فيك در مدامعي شوقاً للؤلؤ ثغرك البسام
إن كنت في نجد فنجدي الـهوى أنا فيك أو بتهامة فتهامي
وغزال طرفك فيه طال تغزلي وبثغرك البسام رق ن ظ امي
ما ضرني أن قد بعدت لأنني ألقاك من حيث التفت أمامي
إن لاح قلت البدر ليل تمامه أو فاح قلت الورد في الأكام (٧٣)

ويبدو أن غزله كان تقليديا وكان للغزال والرشا والظبي والشادن مرادفات قد احتلت المساحة الأوسع في وصفه، وقد سار على نهج القدماء باظهار االبكاء على المحبوب وإظهار التوجع من الصدود والام الفراق ولعل الشيخ الشاعر قد وجد في هذه الشذرات الغزلية متنفسا له مخففة من وطأة الجو الديني.

ب ـ فنون شعرية مستحدثة:

والشيخ الشاعر عبد الحسين الجواهري شأنه شأن شعراء عصره قد كتبوا في كل الأغراض الشعرية بما في ذلك الفنون المستحدثة كالبند والموشح والمسمط والمخمس وهم بذلك قد واصلوا إحياء هذه الفنون التي تمتد إلى العصر الوسيط [٧٤]. ولم يبدع شاعرنا في هذا المجال ابداعه في القصيدة التقليدية العمودية فقد كانت له ومضات شعرية تنبئ عن موهبة خصبة تجلت في رشاقة العبارة وتماسكها وفي قدرتها على التصوير الفني عبر تقنيات العبير الاستعاري وفنون البلاغة الأخرى، ومن تلك الفنون :

1- البند :

من الفنون الشعرية التي تمثل ((خروجا عن النمط الشعري المتعارف، وانحرافا عن العمود الفقري للشعر العربي الاصيل، إلا أن صاحب الذوق الشعري السليم يجد فيه من الطراوة والظرافة ما يدعوه إلى التأمل في مبانيه والغور في فقراته ومعانيه وربط فصوله بقوافيه))[٧٥]، ومن قول عبد الحسين الجواهري في البند:

فكم لي فيه من رسم يميل الفنج مكحول، وشهدي رضاب ريقه السلسل معسول، به قضيت أزمان بظل الضال والبان، وساقي الراح مهما لاح بالاقداح، يثني العطف من عينيه نشوان، رشيق القد صلت الخد، سبط الجعد ووسنان، نحيل، العطف مرتيح ثقيل الردن، بالنفنج كيل الطرف فنان، رخيم اللفظ غنج اللحظ، عن أردانه طيبا روى المسك شذا الند، رشا ينتسب البان لعطفيه، كما الحتف لعينيه، كما حسنا لخديه[٧٦]

فالشاعر هنا لم يأت بجديد ولكن جاء البند ذا مسحة رقيقة اقتربت من الغزل التقليدي.

2- المسمطات:

وهي :((كتابة قصيدة بقواف متنوعة، بطريقة يختارها الشاعر، ولعل هذه المرحلة في تنويع القوافي قد سبقت الموشحات، ولكنها ظلت مستمرة إلى الان))[٧٧].

ومن مسمطات الشيخ عبد الحسين الجواهري قوله:

أنتم صفوة الاله اصطفاكم أمناء لسره وجتباكم
أنا مستمسك بحبل ولاكم (يا أمير لا أرى لي سواكم
آمرا ماسكا بحبل وريدي
لسواكم زيادة الحب نفص أثر الدين فيكم يستقص
بالولا من سواكم لا أخص (أنتم عصمتي إذا نفتح الصو
رأمتي من هول يوم الوعيد) [٧٨]

3- الموشح

يذكر الأستاذ علي الخاقاني أن للشيخ عبد الحسين موشحة في مديح الحاج مصطفى كبة وهجاء ملا هادي بن ملا محمد البصير [٧٩]، وقد توهم الاستاذ الخاقاني في ذلك لكونها مسمطة وليست موشحة فالموشحة تتنوع قوافيها بطريقة مضبوطة إذ تتكون من مطلع وأقفال وخرجة ذات أغصان ومن ادوار ذات أسماط[٨٠].

فالموشح يقوم على الادوار التي تتكون من أسماط وعلى الاقفال التي تتكون من أعصان، والادوار تكون مختلفة في القوافي متفقة في العدد أم الاقفال متساوية العدد في الاعصان ومتفقة في القوافي، ثم يكون القفل الاخير في الموشحة نطلق عليه (الخرجة) وهذا مالم نجده:

ضربنا كل منتزجٍ قصي فلم نر غير مطرح دني
ولما أن بلونا كل حيٍّ طوينا عن سواك أبا غني

بساط المدح طيا بعد نشر [٨١]

وردنا منك يا عذب المناهل خضم ندىً لـه المعروف ساحل
وجنبنا سواك من القبائل وقيدنا القوافي مطلقات ال

أزمة عن لقا زيد وعمرو [٨٢]

4- المراسلات الشعرية :

وهي من الفنون الشعرية التي أخذت مساحة واسعة من شعر عبد الحسين الجواهري وكانت في اغلبها توجه إلى اصدقائه ومعارفه، وقد كتب إلى الشيخ عليّ صاحب الحصون(11) رسالة منها ما جمع بين الشعر والنثر ومنها ما اقتصر على النثر فقط وقد ضمنها بيت أو بيتين وبهذا لم ينطبق عليها الرسالة الشعرية التي تقوم عادة ((على ايضاح غرض اساسي بين المتراسلين سواء أكان بينهما : كتاب، أو لوم، أو تهنئة، أو اهداء، أو اظهار للبراعة الفكرية والادبية للطرف الاخر، أو قد تأتي لتعميق روح الصداقة والتآزر والتآسي في المصائب والمحن)) [٨٣]. ومن نماذج رسائله قوله مراسلا من النجف الشيخ عليّ صاحب الحصون ببغداد قوله:

أما وهواك يا غيظ الحسود لغير علاك لا أهدي قصيدي
نشدتك هل يعود زمان لـهوي فيورق في نمير الوصل عودي
لأنت وإن بعدت مثال عيني فبي أفديك من دان بعيد [٨٤]

وكتب الشيخ عبد الحسين من النجف إلى الاستانة مراسلا

أوضحت لي بهواك عذراً لو أستطيع عليه صبرا
كم عبرةٍ أطلقتها وحشى بأسر الشوق أسرى
مع كل منكسر الجفون إليه الندامى منك فجرا
قد أطلعت شمس الطلى منه بليل الجعد بدرا (٨٥)

ومن نثره في الرسالة ذاتها قوله : ((إلى مولاي ومالك عقد ولاي، جامع اشتات الكمال، وهدن الشرف والافضال، مشكاة أنوار المعارف، والاوحد الذي لا يقف على أدنى ما فيه واصف، المنفرد بالاوصاف الجميلة، والراقي بسلم الأدب سماء كل فضيلة))(٨٦).
ومما كتبه أيضا قوله:

أجامع شمل المجد لولاك لم تكن لنجمع أشتات العلى والمفاخر
توسمت الآمال منك أخا ندىً به زجر الأمثال أسعد طائر
سعيت إلى العلياء تصلح شأنها لما كابدت من داء وجد مخامر
أيا ابن الكرام الصيد من لنوالـهم عنت كرما صيد الملوك الأكابر (٨٧)

وبهذا فقد سار عبد الحسين على خطى سابقيه في بناء قصائدهم ((مقيدين بأساليب وأخيلة لا يحيدون عنها، مقلدين لمدرسة أبي تمام والبحتري والشريفين والمتنبي والحريري، وإذا خلا الشعر من عبقرية فالتقليد لهؤلاء العباقرة يصبح الأدب منه لغوا لا ورح فيه ولا جدة))(٨٨). ولعل هذا ما لا حطناه في دراستنا لبعض أشعار عبد الحسين الجواهري.

الخاتمة:

إن إضاءة موهبة عراقية في القرن التاسع عشر هي فرصة أمام النفاقد العراقي لتأصيل الشعر العراقي الحديث والكشف عن جذوره ومعالم تطوره وبدايات نضجه، ولعل التوقف عند موهبة الشيخ عبد الحسين الجواهري تتخذ أكثر من دلالة وتمنح الباحث متعة أكبر وذلك لاشتهار عائلة الجواهري بالشعر من خلال ابنه محمّد مهدي الجواهري.
ولم يلتفت الدارسون إلى موهبة ابيه الشيخ الذي جعلته موضوعا لهذه الشيقة في نظري وقد خلصت إلى جملة من النتائج الخصها بما يلي:

1- من خلال هذه الدراسة اتضح لي أن العائلة الجواهرية هي عائلة قد أعطت للشعر مثلما اعطت للفقه ولا تعارض للشعر والفقه في هذه العائلة إذا كان الشيخ عبد الحسين شاعرا وفقيها في آن معا .
2- يبيتمتع الشيخ عبد الحسين بموهبة شعرية مميزة تنطوي على استخدامه المتقن للغة وتقنيات التعبير في التصوير والاستعارة والتشبيه والبديع وفنونه.
3- الطابع العام لشعره هو شعر تقليدي أحيانا ينزلق ليه إلى التعبير النثري.

4- الطابع العام للألفاظ الشعرية للشاعر عبد الحسين كانت يدوية صحراوية على الرغم من تأثره برقة الحضارة أو المدنية .
5- لم يكن لدينة النجف تأثير على شعره ولك يكتب عنها.
6- لم تكن لمكانت ه الدينية والفقيهية حائلا دون ولوج باب الغزل وكان غزله عفيفا ليس فيه أثر للصراحة أو المجون.
7- لم يتسم شعره بطابع سياسي معارض وانما كان مواليا للوالي التركي الذي مدحه بعدة قصائد.
8- كانت لعبد الحسين اسهامة واضحة في فن المراسلة الشعرية وكذلك في البند وبعض الفنون المستحدثة كالمسمطات وليس له موشحات كما توهم صاحب كتاب شعراء الغري.
9- سأجد العزم للعثور على ديوانه المخطوط والتوجه لتحقيقه وتقديمه للقراء محققا ومنقحا مشفعوعا بدراسة نقدية اوسع .

واخير ارجو أن يكون هذا البحث أسهامة جديدة وطريفة ضمن جهود الباحثين والدراسين المشاركين في مهرجان الجواهري.

هوامش البحث

(١) ماضي النجف وحاضرها : جـ 99/2، وينظر معجم الادباء :جـ 334/3. وينظر معجم الشعراء:جـ 80/3.
(٢) ينظر أعلام الأدب والفن: جـ 185/2.
(٣) هامش سحر بابل وسجع البلابل:286.
(٤) شعراء من بلادي: 16.
(٥)ماضي النجف وحاضرها :جـ 99/2.
(٦) نفسه: جـ104/2.
(٧)نفسه: جـ107/2.
(٨)نفسه: جـ123/2- 125.
(٩) ينظر نفسه: جـ126/2.
(١٠)ينظر نفسه: جـ126/2- 127.
(١١) نفسه: جـ112/2.
(١٢)نفسه: جـ111/2.
(١٣)نفسه: جـ127/2.
(١٤) الشعر العراقي الحديث:20.
(١٥) نفسه :20.
(١٦) ينظر نفسه :16-17.
(١٧)نفسه :19.
(١٨)نفسه :19.
(١٩) شعراء الغري: جـ165/5.
(٢٠) الجواهري شاعر العربية:27.

(٢١)شعراء الغري: جـ165/5، وينظر أدب البند :165، وينظر البند في الأدب العربي:117.
(٢٢)ماضي النجف وحاضرها :جـ 112/2، وينظر أعيان الشعية :جـ 491/11، وينظر أدب الطف:جـ297/8.
(٢٣)ينظر ماضي النجف: جـ 112/2.
(٢٤)هامش سحر بابل وسجع البلابل:286.
(٢٥)شعراء الغري: جـ166/5.
(٢٦) نفسه: جـ166/5.
(٢٧) مذكراتي: جـ44/1.
(٢٨) اعلام الأدب والفن: جـ 185/2.
(٢٩) شعراء من بلادي: 17.
(٣٠) مجمع الاضداد: 22.
(٣١) مذكراتي جـ45/1.
(٣٢) نفسه: جـ45/1.
(٣٣)شعراء من بلادي: 17.
(٣٤)اعلام الأدب والفن: جـ 185/2.
(٣٥) الجواهري صناجة الشعر :90، وينظر الجواهري ديوان العصر:16.
(٣٦)شعراء الغري: جـ165/5.
(٣٧) نفسه: جـ166/5.
(٣٨) ينظر: الجواهري شاعر العربية:76، وينظر: مذكراتي: جـ55/1.
(٣٩)مذكراتي: جـ45/1.
(٤٠)مجمع الاضداد: 24.
(٤١)مذكراتي جـ49/1.
(٤٢) ينظر الجواهري ديوان العصر: 16.
(٤٣)الجواهري شاعر العربية:73، وينظر: مذكراتي: جـ81/1.
(٤٤)شعراء الغري: جـ167/5، وينظر أدب البند: 165.
(٤٥)ماضي النجف: جـ 113/2، وينظر أدب الطف:جـ 297/8.
(٤٦)ينظر: اعلام الأدب والفن: 185.
(٤٧)مذكراتي جـ81/1.
(٤٨)مجمع الاضداد: 22.
(٤٩)شعراء الغري: جـ166/5.
(٥٠) الطليعة من شعراء الشيعة:جـ479/5.
(٥١)اعلام الأدب والفن: جـ 185/2.
(٥٢)نفسه: جـ 185/2، وينظر: مذكراتي: جـ68/1.
(٥٣)شعراء الغري: جـ166/5.
(٥٤)مجمع الاضداد: 22.
(٥٥) ينظر نفسه:23.
(٥٦)مذكراتي جـ55/1.
(٥٧)نفسه: جـ70/1.
(٥٨)نفسه: جـ71/1.
(٥٩)ينظر: شعراء الغري: جـ167/5-198.
(٦٠)نفسه: 78/5-179، وينظر الطليعة من شعراء الشعية: 483/1، وينظر أعيان الشيعة: 491/11،

وينظر ماضي النجف وحاضرها:جـ2/114، وينظر أدب الطف:297/8.
(٦١)شعراء الغري: جـ5/180-181.
(٦٢)نفسه: جـ5/181.
(٦٣)نفسه: جـ5/183.
(٦٤)ينظر:أروع ما قيل بالإمام الحسين(').
(٦٥)شعراء الغري: جـ5/183- 185.
(٦٦)نفسه: جـ5/185.
(٦٧)نفسه: جـ5/185.
(٦٨)نفسه: جـ5/186.
(٦٩)نفسه: جـ 5/187، وينظر: أعيان الشيعة: 491/11، وينظر: وينظر ماضي النجف وحاضرها:جـ2/114
(٧٠)الجواهري شاعر العربية:27-28.
(٧١)شعراء الغري: جـ5/191-192.
(٧٢)ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي:683-684.
(٧٣) مقدمة أدب البند(أ)، وينظر مقدمة البند في الأدب العربي .
(٧٤) أدب البند: 167.
(٧٥) تبسيط العروض: 281.
(٧٦)الطليعة من شعراء الشعية:482/1
(٧٧)ينظر: شعراء الغري: جـ5/195.
(٧٨)ينظر: تبسيط العروض: 301.
(٧٩)شعراء الغري: جـ5/195.
(٨٠)ينظر نفسه: 5/167- 178.
(٨١) ينظر اتجاهات الشعر الأندلسي: 81-83.
(٨٢)شعراء الغري: جـ5/169.
(٨٣)نفسه: 5/172.
(٨٤)نفسه: 5/173.
(٨٥)نفسه: 5/175.
(٨٦)الجواهري شاعر العربية:27.
(٨٧) شعراء الغري: جـ5/169.
(٨٨) الجواهري شاعر العربية: 27.

ثائمة المصادر والمراجع:

١ - اتجاهات الشعر الاندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990.

٢ - أدب البند، اعداد وتعليق محمّد عيسى ال مكباس البحراني، ط1- 1420هـ. 3- أدب الطف أو شعراء الحسين (ع)، جواد شبر، مؤسسة التاريخ، البنات ط1، 1422هـ 2001م.
٣ - أروع ما قيل في الامام الحسين (ع)، عليّ محمّد عليّ دخيل، دار المرتضى، لبنان، ط1، 1424هـ - 2004.
٤ - أعلام الأدب والفن، ادم الجندي، مطبعة الاتحاد، سورية 1958.
٥ - أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلق عليه حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ط 5، 1420هـ - 2000م.
٦ - تراريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، د.محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، لبنان، 1410هـ - 1990.
٧ - تبسيط العروض، نور الدين حمود، الدار العربية للكتاب، ط1، 1986.
٨ - الجواهري ديوان العصر، حسن العلوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1986.
٩ - الجواهري صناجة الشعر العربي، د. زاهد محمّد زهدي، قدم له الدكتور محمّد عبده يماني، دار القلم، بيروت، ط1، 1420هـ 1999.
١٠ -الجواهري شاعر العربية، عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب النجف الأشرف، 1972.
١١ -سحر بابل وسجع البلابل، السيد جعفر الحي النجفي، تحـ: الشيخ محمّد الحسين الكاشف الغطاء، دار الاضواء، بيروت
١٢ -الشعر العراقي الحديث، د. يوسف عز الدين، دار المعارف، مصر.
١٣ -شعراء من بلادي، السيد عليّ إبراهيم، ط1، بيروت 1968.
١٤ -الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ محمّد السماوي، تحـ : كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1422هـ 2001م.
١٥ -ماضي النجف وحاضرها، جعفر باقر آل محبوبة، دار الاضواء، لبنان، ط2، 1406هـ - 1986.
١٦ -مجمع الاضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، د. سليمان جبران، دار الفارس للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2003.
١٧ -مذكراتي، محمّد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى للطباعة والنشر والتوزيع، بني الزهراء للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط1، 1384هـ - 2005م.
١٨ -معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
١٩ -معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.